



ربيع الآخر ١٤١٥هـ
تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٩٤م

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً

ص . ب ٣٢٧

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي بدءاً من مطلع العام ١٩٩٤م	
	١٦٠ ليرة سورية في الجمهورية العربية السورية
	١٠ دولارات أميركية في البلدان العربية
	١٢ دولاراً أمريكياً في البلدان الأجنبية

وإذا طلب إرسال المجلة بالبريد الجوي تضاف أجرته إلى قيمة الاشتراك

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

(خطة المجلة) :

- إن خطة المجلة التي تلتزمها أن تنشر لكتابها المقالات الأصيلة التي يخصونها بها ويقصرونها عليها .
- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها .
- ترتيب المقالات يخضع لاعتبارات فنية .
- ينبغي أن تكون المقالات المرسلة إلى المجلة مكتوبة بخط واضح ، أو مطبوعة على الآلة الراقنة .
- المقالات التي لا تنشر لا ترد إلى أصحابها .
- يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة ، مع مقالته ، موجزاً بسيرته العلمية وآثاره ، وعنوانه .

الجزء الرابع — المجلد التاسع والستون





ربيع الآخر ١٤١٥هـ
تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٩٤م

مطبعة الصباح

دمشق ـ هاتف ٢٢٢١٥١٠

كتب الأنساب العربية
١٠

الدكتور إحسان النص

كتاب الإكليل

للسان اليمن أبي محمد الحسن بن أحمد الهَمْداني
المعروف بابن الحائك
٢٨٠ - بعد سنة ٣٥٠هـ

المؤلف(*) :

أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهَمْداني المعروف بابن الحائك . وقد أطلق المؤلف على نفسه لقب « لسان اليمن » فعرف بذلك . وقبيلة همدان تنتمي إلى كَهْلان ، أحد جذمي قحطان . وهي قبيلة ضخمة

(*) من مصادر ترجمته : مقدمة كتاب الإكليل تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع وكتابه عن المؤلف « لسان اليمن » ؛ معجم الأدباء لياقوت ٢٣٠/٧ ؛ روضات الجنّات للخوانساري ص٢٣٨ ؛ تلخيص ابن مكتوم ص٥١ ؛ طبقات الأمم لصاعد الأندلسي ص٥٨ ؛ طبقات ابن قاضي شهبة ٣١٩/١ ؛ ترجمة مفصلة للمؤلف في كتاب إنباه الرواة للقفطي ٢٧٩/١ وفي كتابه أخبار الحكماء ص١١٣ ؛ بغية الوعاة للسيوطي ص٢١٧ ؛ بحث للأستاذ حمد الجاسر حول الجزء العاشر من الإكليل في مجلة مجمع اللغة العربية المجلد ٢٥ الجزء الأول ص٦٢ .

كثيرة البطون وتتفرع إلى فرعين كبيرين هما : حاشد وبَكِيل ، وإلى بكيل ينتسب المؤلف .

وقد علّلَ القفطي سبب تلقيبه بابن الحائك فقال : « فأما تلقيبه بابن الحائك فلم يكن أبوه حائكاً ولا أحد من أهله ولا في أهله ولا في أصله حائك ، وإنما هو لقب لمن يشتهر بقول الشعر ، وكان جدّه سليمان بن عمرو المعروف بذي الدمينة شاعراً ، فسُمّي حائكاً لحوكه الشعر »[1] .

ولد المؤلف بصنعاء عام ٢٨٠هـ – حسبما حققه الأستاذ الأكوع بعد أن وقف على المقالة العاشرة من كتاب « سرائر الحكمة »[2] – وفيها انكبّ على طلب العلم ، فأخذ الفقه والأدب وعلم النسب والجغرافية والتاريخ عن جلّة من الشيوخ ، وكان شيخه في علم النسب أبا نصر البهري نسّابة حمير ، ومن شيوخه أيضاً محمد بن أحمد الأوساني الحميري . وكان إلى ذلك يتجوّل في البلاد فدخل حضرموت واتّصل بعلمائها وتعرّف معالمها وجاب بلاد الحجاز ونجد وجاور بمكة زمناً وأخذ عن مشايخها وأخذ الناس عنه . وكانت صلته قوية برجالات اليمن وملوكها وأمرائها .

استقرّ بمدينة ريدة مدة من الزمن واتصل بسلطانها أبي جعفر الضحّاك سيّد همدان في زمنه ، ثم غادرها إلى مدينة صَعْدة فأقام بها عشرين سنة ، قال : « وقد سكنت بها عشرين سنة فأطللت على أخبار خَولان وأنسابها ورجالها كما أطللت على بطن راحتي ... »[3]وقد تعرض الهمداني للسجن مرتين – حسبما حقق الأستاذ الأكوع – أولاهما بصَعدة ، سجنه

---

(١) إنباه الرواة للقفطي ٢٧٩/١ .

(٢) انظر : مقدمة كتاب الإكليل ٥١/١ في الحاشية .

(٣) الإكليل ٢٧٥/١ .

الناصر لدين الله أحمد بن يحيي العلوي ، ولا يعرف سبب سجنه على وجه التحقيق ، ذكر بعضهم أنه لهج بتفضيل قبيلة قحطان على عدنان وحقّر ما عظّم الله وتجاسر على انتقاص من اصطفاه الله(٤) .

واضطر الناصر إلى اطلاق سراحه لأن قبائل خولان تألّبت عليه بسببه ، ويشير الهمداني إلى سجنه واطلاق سراحه بصعدة فيقول في سياقة نسب سعد بن خولان : « فأولد عبدُ الله يحيي بن عبد الله سيّد أكيل ، وأمّه بنت عبد الله بن محمد بن عبّاد ، وهو – أي يحيي بن عبد الله – أحد من قام في فكّ الهَمْداني من سجن العلوي بصَعدة وأوجب فيه ، وكان رجل خولان ولسانها وذا رأسها(٥) . »

وبعد اطلاق سراحه انتقل الهمداني إلى صنعاء ، وهناك تعرض للسجن مرة ثانية ، سجنه ملك حمير أبو حسّان أسعد بن أبي يُعفِر الحوالي بإيعاز من الناصر أحمد العلوي . ومن الأسباب التي أوردها الأخباريون عن سبب سجنه بصنعاء أنه قال شعراً يهجو فيه الناصر ويثلبه ، فكتب هذا إلى أسعد بن أبي يعفر ، وهو بصنعاء ، أن يسجنه . فأوعز إلى أخيه أبي الفتوح أمير صنعاء فسجنه(٦) ، وقيل أيضاً إن مهاجاة وقعت بينه وبين شعراء مدينة صعدة فلما أوجعهم بهجائه دسّوا له عند الناصر فكتب إلى أسعد بن أبي يعفر يطلب إليه سجنه(٧) . والسبب الأخير هذا قد يعلل سبب سجنه بصعدة أما سجنه بصنعاء فسببه ، فيما يبدو لي ، هجاؤه الناصر لحبسه إياه بصعدة . وقد مكث الهمداني في سجن صنعاء ست سنوات من سنة ٣١٥هـ حتى سنة ٣٢١هـ .

(٤) الإكليل ٦٢/١ .
(٥) الإكليل ٣١٢/١ .
(٦) انظر مقدمة الجزء الثاني من الإكليل ص١٦ .
(٧) انظر مقدمة الجزء الثاني من الإكليل ص١٧ .

وقد تحدّث الهمداني عن سجنه في صنعاء في سياقة نسب صُحار بن خولان فقال : « حتى سجن الهمداني بيد أسعد بن أبي يعفر ، فطلبوا فيه ، فأعلمهم أنه لم يسجنه ، وأن أسعد سجنه في جرم أجرمه إليه ، فركب منهم الحسن بن محمد بن أبي العباس إلى أبي حسّان طالباً فيه ، فاعتذر وقال : إنما كتب إليّ فيه الناصر أن أسجنه له ، فهو في سجنه عندي ، فاطلبوا إليه ، فإذا أنعم ، فيكتب إليّ حتى أطلقه . فانصرف وعادوا جماعة العشيين الناصر في الطلب ، وأعلموه بما قال أسعد ، فأبعدهم وأغلظ لهم ، فأغلظوا له وتباعدوا أمرهم ، وأظهروا له الخلاف ، وقاد له الحسن بن أبي العباس بني جماعة وقاتله بمصنعة كَتفى ، فسأل الناصر وجوه خولان أن يصرفوه ويعلموه أنه قد فتح له الهمداني – أي أطلق سراحه – »(٨) . فكذلك نرى أن قبيلة خولان القضاعية – وهي ليست قبيلة المؤلف – كان لها فضل إطلاق سراحه من سجنه في صعدة وصنعاء ، وكان الهمداني مدّاحاً لرؤسائها وأشرافها . وقد انتقم الهمداني من أبي حسان أسعد بن أبي يعفر بهجائه بقصيدة مطوّلة سمّاها « قصيدة الجار » وقد أوردها المحقق في الإكليل(٩) .

يذكر القفطي أن الهمداني كان رجلاً محسَّداً في أهل بلده وارتفع له صيت عظيم وصحب أهل زمانه من العلماء وراسلهم وكاتبهم ، ومن العلماء الذين كان يكاتبهم ويعاشرهم أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري ، وأبو عمر النحوي صاحب ثعلب ، وأبو عبد الله الحسين بن خالويه . وممن كان يكرمه من ملوك اليمن ويرعى حقّه إسماعيل بن إبراهيم النَبْعي الحميريّ »(١٠) .

---

(٨) الإكليل ١/٤٢٦ .

(٩) انظر : الإكليل ١/٦٣ .

(١٠) انباه الرواة ١/٢٨٠ – ٢٨١ .

ويصفه القفطي ويثني على علمه وسعة اطلاعه فيقول : « نادرة زمانه ، وفاضل أوانه ، الكبير القدر ، الرفيع الذكر ، صاحب الكتب الجليلة ، والمؤلّفات الجميلة . لو قال قائل : إنه لم تخرج اليمن مثله لم يَزِلّ ، لأن المنجّم من أهلها لاحظ له في الطب ، والطبيب لا يدَ له في الفقه ، والفقيه لا يدَ له في علم العربيةِ وأيام العرب وأنسابها وأشعارها ، وهو قد جمع هذه الأنواع كلّها وزاد عليها »[11] .

ووصفه الخزرجي[12] بقوله : هو الأوحد في عصره ، الفاضل على من سبقه ، المبرّز على من لحقه ، لم يولد في اليمن مثله علماً وفهماً ، ولساناً وشعراً ، ورواية وفكراً ، واحاطة بعلوم العرب من النحو واللغة والغريب والشعر والأيام والأنساب والسير والمناقب والمثالب ، مع علوم العجم من النجوم والمساحة والهندسة والفلك »[13]

عرف الهمداني بعصبيته الغالية للقحطانية وقد جرّت عليه هذه العصبية عداوة النزارية ، وقيل إنه عرّض بالرسول عليه السلام أثناء تعرضه للعدنانية وأنه سجن بسبب ذلك . وهو أمر مستبعد ، وربما كان في الأمر دسيسة من قِبل شعراء صعدة الذين هاجاهم الهمداني . وبدافع هذه العصبية قال قصيدة طويلة سمّاها « الدامغة » يفاخر فيها بالقحطانية ويعارض قصيدة الكميت التي فخر فيها بالعدنانية والتي أوّلها :

ألا حُيّيتِ عنا يا مَدينا وهل بأسٌ نَقُول مُسَلِّمينا

---

(١١) إنباه الرواة ٢٧٩/١ .

(١٢) الخزرجي هو علي بن الحسن الخزرجي الزبيدي (ت ٨١٢هـ) من أعلام المؤرخين اليمنيين . من كتبه : « طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن » و« العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولةالرسولية » و« العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن » .

(١٣) بغية الوعاة للسيوطي ٤٩٨/١ .

ومطلع قصيدة الهمداني :

ألا يـا دارُ لولا تنطقينا فإنا سائلوك فخبّرينا

كما أنه وقف الجزء الثالث من كتاب الإكليل على ذكر مفاخر قحطان .

لا تعرف سنة وفاة الهَمْداني ومكانها على وجه التحقيق ، فقد ذكر القاضي صاعد في « طبقات الأمم » ما نصّه : « وجدت بخط أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله بن الناصر عبد الرحمن الأموي أن أبا محمّد الهمداني توفي بسجن صنعاء في سنة أربع وثلاثين وثلاثمئة »[١٤] . وقد تابع صاعداً في هذه الرواية طائفة من الباحثين القدامى والمحدثين . وأغفل آخرون ذكر سنة وفاته . على أن القفطي الذي أورد خبر صاعد ذكر ما يناقض هذا الخبر وهو قوله : « وسار في آخر زمانه إلى رَيْدة من البَون الأسفل من أرض هَمْدان ، وبها قبره وبقية أهله »[١٥] ، فهذا الخبر يناقض خبر صاعد أنه توفي في السجن بصنعاء ، لأنه سار في آخر حياته إلى ريدة ، ومن هنا يستدل على أنه توفي بريدة ودفن فيها . وقد استبعد الشيخ حمد الجاسر أن يموت الهمداني في صنعاء ثم ينقل جثمانه إلى ريدة وهي تبعد عنها مسافة ٢٠ ميلاً ، أي ما يقارب من مسيرة يوم للإبل ، إذ ليس من عادة العرب نقل موتاهم إلاّ في حالة الحرب[١٦] ، وهو يرجح لهذا السبب ولأسباب أخرى أن يكون الهمداني قد عاش مدة من الزمن بعد خروجه من السجن . وإلى هذا الرأي ذهب كذلك الأستاذ الأكوع محقق الإكليل واستند إلى خبر

(١٤) طبقات الأمم ص٥٩ ؛ إنباه الرواة ٢٨٤/١ .

(١٥) إنباه الرواة ٢٨٠/١ .

(١٦) مجلة المجمع المجلد ٢٥ ص٦٨ .

مرويّ في الجزء الثاني من الإكليل هذا نصه : « قال أبو محمد عبد الله بن سليمان الحلملي : رويت عن محمد هذا ـ أراد به محمد بن أحمد الأوساني شيخ الهمداني ـ سنة ست وخمسين وثلاثمئة ، وهو من عمره في ثمانين ، وكتبت عنه . وقتل في سنة ستين وثلاثمئة ، رحمه الله »[١٧] ، فإيراد الهمداني هذا الخبر في كتابه يدل على أنه عاش إلى سنة ستين وثلاثمئة على الأقل .

مؤلفاته :

للهمداني مؤلفات كثيرة ولكن أكثرها مفقود ومنها كتاب « المسالك والممالك باليمن » و« السير والأخبار » و« اليعسوب » . وقد ذكر القفطي أنه « في فقه الصيد وحلاله وحرامه والأثر الوارد فيه وكيفية الصيد وعمل العرب فيه وغريب ذلك ونحوه والشعر فيه ، وهو كتاب جيد جداً مفيد للمتأدبين »[١٨] ، وكتاب « القوى » في الطب ، وكتاب « الجواهر العتيقة » ، وكتاب « الزيج » .

ومنها القصيدة النونية « الدامغة » في فضائل قحطان ، وقد شرحها ولده ، وهي التي أحدثت له العداوة من النزارية ، وله ديوان شعر في ستة أجزاء .

من مؤلفاته التي انتهت إلينا كتاب « الإكليل » الذي سأتحدث عنه فيما يأتي ، وكتاب « صفة جزيرة العرب » وهو من أجود كتبه ، وصف فيه معالم جزيرة العرب ، ولا سيما القسم الجنوبي منها ، وصفاً يعتمد على المشاهدة لا على السماع والنظر في المؤلفات فحسب . إذ كانت له جولات شملت جميع هذه البقاع . والكتاب مطبوع بمصر بتحقيق المؤرخ محمد بن

---

(١٧) الإكليل ٢/٣٣٢ .

(١٨) إنباه الرواة ١/٢٨٢ .

عبد الله بن بليهد النجدي . ومنها كتاب « سرائر الحكمة » في علم النجوم ، ويذكر الأستاذ الأكوع أنه وقف على المقالة العاشرة منه واستخلص منها زمن ولادة الهمداني(١٩) .

الكتاب :

كتاب « الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير » هو أعظم كتب الهمداني ، ومما يؤسف له أن بعض أجزائه العشرة مفقود ، ووصلنا منه فقط الأجزاء الأول والثاني والثامن والعاشر ؛ وقد طبعت(٢٠) .

وقد تحدّث القفطي عن هذا الكتاب وعن موضوعات أجزائه العشرة فقال : « وكتابه في معارف اليمن وعجائبه وعجائب أهله المسمّى بالإكليل ، وهو عشرة أجزاء ، الجزء الأول في المبتدأ ونسب مالك بن حمير ، والجزء الثاني في أنساب ولد الهميسع من ولد حمير ونوادر من أخبارهم ، والجزء الثالث في فضائل اليمن ومناقب قحطان ، والجزء الرابع في سيرة حمير الأولى ، والجزء الخامس في سيرة حمير الوسطى ، والجزء السادس في سيرة حمير الأخيرة إلى الإسلام ، والجزء السابع في ذكر السيرة القديمة والأخبار الباطلة المستحيلة ، والجزء الثامن في القبوريات وعجائب ما وجد في قبور اليمن ، وشعر علقمة بن ذي جَدَن وأسعد تُبّع ، والجزء التاسع في كلام حمير وحكمهم وتجاربهم المرويّة بلسانهم والموضوع للرطانة عندهم ، والجزء العاشر في معارف هَمْدان وأنسابها ونتف من أخبارها .

---

(١٩) انظر مقدمة الجزء الأول من الإكليل ص٧٥ .

(٢٠) حقق الأستاذ محمد بن علي الأكوع الجزأين الأول والثاني ونشرهما ، وحقق الجزء الثامن ونشره الأب أنستاس الكرملي ببغداد سنة ١٩٣١م ، ثم أعاد تحقيقه ونشره الأستاذ نبيه أمين فارس سنة ١٩٤٠م في برنستن ، وحقق الجزء العاشر ونشره بالقاهرة الأستاذ محب الدين الخطيب سنة ١٣٦٨هـ .

وهو كتاب جليل جميل ، عزيز الوجود ، لم أر منه إلا أجزاء متفرقة وصلت إليّ من اليمن وهي : الأول والرابع يعوزه يسير ، والسادس ، والعاشر والثامن . وهي على تفرقها تقرب من نصف التصنيف ، ووصلت في جملة كتب الوالد المخلّفة عنه ، حصّلها عند مقامه هناك . وقيل إن هذا الكتاب يتعذر وجوده تاماً لأن المثالب المذكورة فيه في بعض قبائل اليمن ...... وأعدم أهل كل قبيلة ما وجدوه من الكتاب وتتبعوا إعدام النسخ منه ، فحصل نقصه لهذا السبب[٢١] . وفي الجملة الأخيرة خلل فخبر (لأن) غير مذكور ، ولعل مرد الخلل إلى الناسخ .

ونستخلص من نص القفطي كذلك أن بعض أجزاء الكتاب كانت مفقودة منذ زمنه (القرن السابع الهجري) وأن سبب ذلك تعريض المؤلف ببعض قبائل اليمن . وفي ظني أن الجزء الثالث فقد بسبب تعريض المؤلف بالعدنانية فيه وتطاوله عليهم بسبب عصبيته القحطانية .

ومما تقدم يتبين لنا أن كتاب الإكليل ليس كتاباً في الأنساب فحسب وإنما يشتمل على موضوعات أخرى ، وسوف أقصر حديثي على الأجزاء الحاوية للأنساب وهي الأول والثاني والعاشر .

ففي الجزأين الأول والثاني تناول المؤلف الأنساب الحميرية ، وفي الجزء العاشر ذكر أنساب كهلان بن سبأ – الجذم الثاني من قحطان – وأنساب همدان خاصة .

وكان الجزآن الأول والثاني مفقودين إلى أن عثر عليهما الأستاذ محمد بن علي الأكوع لدى أحد أصدقائه فحققهما ونشرهما وأضاف إلى الكتاب حواشي وافية . وقد سرد في مقدمة الجزء الأول تفصيل عثوره على

(٢١) إنباه الرواة ٢٨٢/١ .

هذين الجزأين ، وكان قد عثر على مخطوطة في برلين تشتمل على هذين الجزأين ولكنها نسخة رديئة فيها بياض في مواضع كثيرة ، فنشر الجزء الأول اعتماداً عليها ، وبعد عثوره على الجزأين في اليمن أعاد نشر الجزء الأول فصحح ما وقع فيه من أغلاط في الطبعة الأولى نبهه إليها الأستاذ الشيخ حمد الجاسر في مقالات نشرها في مجلة العرب، وكذلك نبهه الشيخ محمد بن علي الأشول إلى بعض الأخطاء فتداركها في هذه الطبعة ، ثم نشر الجزء الثاني سنة ١٩٦٦م .

على أن النسخة التي عثر عليها الأستاذ الأكوع لدى القاضي محمد بن عبد الله العمري ليست في الواقع عين كتاب الإكليل ، وإنما هي قسم من كتاب ألّفه الأمير اليمني محمد بن نشوان بن سعيد الحميري ، وأبوه نشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣هـ) هو أحد ملوك اليمن ومؤلف مشهور له كتاب « شمس العلوم ودواء العرب من الكلوم » ومؤلفات أخرى ، وابنه الأمير محمد من أعيان علماء اليمن وشعرائها ، صنّف جملة من الكتب منها كتاب اختصر فيه كتاب أبيه شمس العلوم وسمّاه « ضياء الحلوم مختصر شمس العلوم » ، وكان على مخلاف خولان صعدة ثم قامت بينه وبين الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة حرب شارك فيها أنصارهما وانتهت بالموادعة بينهما ، ولا تعرف سنة وفاة محمد هذا .

وممّا يدل دلالة صريحة على أن الكتاب لمحمد بن نشوان ما جاء في مقدمته، بعد البسملة والحمدلة وهو قوله: « قال محمد بن نشوان بن سعيد الحميري : الحمد لله موجد الأشياء بعد العدم ، والمنفرد بأوصاف الوحدانية والقدم ... سألت أكرمك الله بأنواع كرامته ، وأعاذك من صرعة الباطل وندامته ، أن أوضّح شيئاً من أنساب حمير وأخبارها ، وما حفظ من سيرها وآثارها ، فأجبتك إلى ما سألت ، وأشفعتك منه بما طلبت ، مؤتمّاً بما ذكره

الشيخ الفاضل المؤتمن لسان اليمن ، وفائق من كان فيه من الزمن ، الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمْداني ، رحمه الله ، ممّا صحّحه من علمه الجليل ، وحققه في كتابه المعروف بالإكليل ...» .

وبعد أن يثني على الهمداني وعلمه الغزير يقول : « فأثبتُّ في النسب ما أتى به ذاكراً لما ذكره في كتابه ، غير أني اختصرت شيئاً ممّا ذكره في النسب ، ليس هو من جملته بمحتسب »[٢٢] .

وفي الكتاب أكثر من إشارة دالة على أن مؤلف الجزأين الأول والثاني اللذين عثر عليهما المحقق في اليمن ليسا عين كتاب الإكليل وإنما هما من تأليف محمد بن نشوان ، ومن ذلك مثلاً ما نجده في ص٢٩٨ من الجزء الأول وهو : « وهم الذين ذكرهم الهمداني في برية القسي » ، فهو يتحدث عن الهمداني بصيغة الغائب . وكتاب محمد بن نشوان هو اختصار لما ذكره الحسن بن أحمد الهمداني من أنساب حمير ، وقد أضاف إليه إضافات يسيرة . على أن تصريح محمد بن نشوان بأنه نقل ما في الإكليل بنصه لم يكد يغير فيه إلاّ أشياء يسيرة يأذن بأن ينظر إلى هذين الجزأين على أنهما صورة لكتاب الإكليل للهمداني ، وهذا ما فعله محقق الجزأين . وقد ألف محمد بن نشوان كتابه تلبية لطلب صديق له طلب إليه بيان أنساب حمير[٢٣] .

تحدث الهمداني في الجزء الأول عن أنساب حمير ولكنه بدأ أولاً بذكر مبدأ الخلق وتناسل ولد آدم حتى بلغ أبناء نوح ومن تناسل منهم ، ثم ذكر نسب هود عليه السلام واختلاف أقوال النسابين في نسبه واختلافهم

(٢٢) الكتاب ١/٨١ .
(٢٣) الكتاب ١/٨٠ .

كذلك في نسب قحطان وهل هو من نسل إسماعيل أو لا ، حتى انتهى إلى نسب حمير .

وفي ذكره لأنساب حمير وقف أولاً عند نسب قبيلة قضاعة ، وهي حميرية عند جمهور النسابين ، ففصّل القول في نسبها وعدّد قبائلها وبطونها ، ووقف وقفة مطوّلة عند قبيلة خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . وبذلك انتهى الجزء الأول . .

وفي الجزء الثاني استمرّ المؤلف في سرد الأنساب الحميرية ، وذكر الخلاف بين النسّابين في نسب « الصَّدِف » . وهل هم من حمير أو من حضرموت أو من كندة ، ثم أخذ في سرد نسب من تناسل من الهمسيع بن حمير ، فلما فرغ من الهميسع انتقل إلى مالك بن حمير الفرع الثاني من حمير وأخذ في سرد نسب قضاعة بن مالك بن حمير على وجه الإيجاز ، ولكنه حينما بلغ قبيلة خولان وقف عندها وقفة طويلة وقال في ذلك : « قد ذكرنا قبائل قضاعة ذكراً مجملاً لشهرتها عند الناس ووقوف العامة عليها واستعمالهم لها ، وعمران قلوبهم بها وأسماعهم ، سوى خولان فإننا رأينا أن نشبع القول فيها لتلحق في التشجير والتعريف بباقي إخوتها من قضاعة ، ونحرص أن نأتي من ذلك بما يعرفه أهل نجد وبعض أهل الحجاز وكافة أهل اليمن ونجران . ومن يبلغه رحلتهم ويبلغهم رحلته . ولو كانت صعدة في القديم من البلدان التي رحل إليها أصحاب الحديث – أي الحديث النبوي – لانتشرت أخبارها كما انتشرت أخبار صنعاء ، فهذه الآن بطونها على ما روى خولان وحمير بصعدة ، وقد سكنت بها عشرين سنة فأطللت على أخبار خولان وأنسابها ورجالها كما أطللت على بطن راحتي ، وقرأت بها سجلّ محمد بن أبان الخنفريّ المتوارث من الجاهلية »[٢٤] .

---

(٢٤) الكتاب ١/٢٧٤ .

فهذا النص يطلعنا على أحد الدوافع التي حملت الهمداني على العناية بنسب خولان فقبيلة خولان كانت بصعدة ، ولذلك لم تعرف كما عرفت القبائل التي نزلت صنعاء . على أن هناك سبباً أخر وراء عناية الهمداني بأنساب خولان ، وهو تلك الرعاية التي أحاطته بها قبيلة خولان ورؤساؤها ابان أقامته بمدينة صعدة ، ونهوضها لمؤازرته حين سجنه الإمام العلوي حتى اضطر إلى اطلاقه .

ومما يلفت النظر هنا أن الهمداني ذكر قبيلة خولان المنحدرة من جذم قضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ ، وخولان هذه لا ذكر لها في جمهرة ابن الكلبي وكتب من تابعه من النسّابين ، أمّا خولان الأخرى المعروفة بَفْكل فهي تنتسب إلى كهلان بن سبأ .

وفي سياق سرده لأنساب خولان يستطرد الهمداني إلى ذكر نسب قبيلة عَنْز بن وائل لصلتها ببعض رجال خولان ، ثم يعود إلى خولان فيتمّ سرد أنسابها . وقد استغرق ذكر نسب خولان وحدها ستين ومئتي صفحة من الجزء الأول .

والجزء الثاني وقفه المؤلف على نسب الهميسع بن حمير . ومن المحقق أن كتاب الإكليل هو أوسع مصدر لهذا النسب ، وقد استغرق نسب الهميسع الجانب الأكبر من هذا الجزء ، ولما فرغ منه أورد مشجّرة لهذا النسب ، ثم الحق بنسب حمير أبواباً تتصل بالأسماء الحميرية : ما اتفق من أسمائها في الحروف وما اختلف ، وكذلك ما اتفق في أسمائها مع أسماء قبائل أخرى ، ونحو ذلك . وبذلك تم الجزء الثاني من الكتاب .

وفي الجزء العاشر – وهو الأخير – من الكتاب ينصرف الهمداني إلى ذكر أنساب كهلان بن سبأ ، وهو الجذم الثاني من قحطان ، فيذكر أولاً

تفرّع كهلان فروعاً ثلاثة : عريباً ، ومالكاً ، وغالباً ، ثم يسرد الأنساب المتفرعة من هؤلاء . ومنها قبيلة خولان العالية (فَكْل)[٢٥] التي تنتسب إلى عمرو بن مالك بن الحارث بن مُرّة بن أُدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن كهلان .

ونسب كهلان في هذا الجزء غاية في الاختصار ، باستثناء هَمْدان ، فالمؤلف اكتفى بذكر قبائلها في صفحات قليلة ، ولم يعن بتفصيل أنسابها ، على خلاف ما صنع في ذكر الأنساب الحميرية . أمّا همدان فقد فصّل القول في أنسابها تفصيلاً لا مزيد عليه . ولا غرابة في ذلك فهي قبيلته . ويكاد يكون الجزء العاشر وقفاً على أنساب همدان .

نهج المؤلف في ذكر الأنساب :

جرى الهمداني على النهج الذي سلكه جُلّ النسّابين في التفريع من الأصول بأسلوب الجملة الفعلية التي يبدؤها بلفظ (أولدَ) أو (وَلَدَ) .

ولكن المؤلف لم يقتصر على ذكر الأنساب وإنما أضاف إليها أشعاراً وأخباراً واستطرادات كثيرة حتى لتكاد هذه الإضافات تملأ من الصفحات أكثر مما ملأته الأنساب . وجل الأشعار التي أوردها هي لشعراء يمانين وقلة منها لشعراء عدنانيين ، والمؤلف نفسه كان شاعراً والكتاب يشتمل على طائفة كبيرة من أشعاره .

مصادر الكتاب وقيمته : .

للكتاب في طبعته التي انتهت إلينا مقدمتان متداخلتان ، أولاهما

(٢٥) خولان هذه غير خولان القضاعية التي ذكرها الهمداني في الجزء الأول ، وكانت منازل خولان العالية في مخلاف يقع جنوبي صنعاء ، أما خولان قضاعة فكانت منازلها في صعدة وما حولها ، وهي التي نزل المؤلف فيها .

لمحمد بن نشوان الحميري ، وقد ذكر فيها أنه أخذ ما في كتاب الإكليل من أنساب حمير وأثبته في كتابه ، وتليها مباشرة مقدمة الهمداني لكتاب الإكليل ، وقد ذكر فيها مصادره في الأنساب الحميرية ، فقد أخذ جُلّ هذه الأنساب عن نسّابة حمير أبي نصر البهري محمد بن عبد الله بن سعيد الحميري ، كما أخذ عن شيخ آخر هو محمد بن أحمد الأوساني ، واستمدّ كذلك من سجلّ كان يحتفظ به الصعديّون من قبيلة خولان القضاعية . وهو سجل محمد بن أبان الخنفري المتوارث من الجاهلية . وقد ذكره المؤلف مرّات في كتابه[٢٦] . وأخذ كذلك عن علماء آخرين وعن نسّابي القبائل التي اتّصل بها . وهو يأخذ على النسّابين الكلبيين (مثل محمد بن السائب الكلبي وابنه هشام) أنهم استقصوا أنساب القبائل الحميرية التي اتصلوا بها والتي تمتّ في نسبها إلى مالك بن حمير – ومنها قضاعة – في حين أنهم أغفلوا أنساب الهميسع بن حمير، يقول في ذلك: «لم أزل كلفاً بالبحث عن الأنساب ، والفحص على صحيحها ، والوقوف على سقيمها ، والتصفح لما أتى به النُسّاب ، فأخذنا عن ناسب كل قبيلة متقناً لأنسابهم من قاربه وعاشره وساكنه وخالطه ، راجماً فيمن نأى عنه بالغيب ، يجمع من سيرهم الحقير ، ومن أنسابهم اليسير ، ومن علمهم وحكمهم النزر من الكثير . ويزلّ عنه منها الجمّ الغفير . ورأيت نُسّاب تلك النواحي – ولا سيما الكلبيين – استقصوا في أنساب ولد مالك بن حمير ، لما كان منهم بمرأى ومسمع ، وأتوا من نسب أخيه الهميسع بن حمير بمثل أثر في عفر ، لا دارس فيعفو ، ولا بيّن فيبدو ، لمّا قلت رحلتهم إلى من قطن منهم باليمن ، ولم يلقوا بنهوجهم من ذوي معرفتهم غير أعقاب من ظعن ، فنتف ذلك واختصر ذا ، وأتوا من أنسابها بعنق يختلف عنها بدنها ، وكذلك غيرهم من

(٢٦) انظر مثلاً ١/٢٧٤ .

النُّسّاب ، حتى إن محمد بن إسحاق أتى ، فيما سمعنا عنه ، بنسب ولد الهميسع في خمسة أسطر ، فقلت : أين ممّن لم يزل بعدهم مُوجفاً (يقصد نفسه) يغور وينجد ، ويقرب ويبعد . في طلب من يعلم ذلك على كماله . مثل شيخ حمير ونابها وعلامتها وحامل سفرها ووارث ما ادّخرته ملوك حمير في خزائنها ، من مكنون علمها ، وقارىء مساندها ، والمحيط بلغاتها ، أبي نصر محمد بن عبد الله بن سعيد ... ويشهر بصنعاء بأبي نصر الحنبصي ... فما أخذته عنه ما أثبتّه في كتابي هذا من أنساب بني الهميسع بن حمير وعدّة الأذواء ، وبعض ما يتبع ذلك من أمثال حمير وحكمها ، إلا ما أخذته عن رجال حمير وكهلان من سجلّ خولان القديم بصعدة ، وعن علماء صنعاء وصعدة ونجران والجوف وخيوان ، وما خبّرني به الآباء والأسلاف »[٢٧] .

لكتاب الإكليل قيمة كبيرة في بيان أنساب حمير وهمدان ، فليس بين أيدينا مصدر عنهما أوفى مما ذكره الهمداني في كتابه . وابن الكلبي لم يعن في كتابه إلا بأنساب مالك بن حمير ، أما نسب الهميسع بن حمير فهو غاية في الإيجاز ، وقد علل الهمداني جهله به بعدم ارتحاله إلى اليمن واتصاله بنسّابيها ، وقد أتيح للهمداني من مصادر الأنساب الحميرية ما لم يتح لسواه من علماء النسب .

إلى ذلك نجد في الأجزاء التي تحدثت عنها أخباراً عن اليمن وملوكها وأحداثها وأشعاراً لشعراء اليمن الذين استقرّوا فيها ولم يرتحلوا إلى مواطن أخرى ، وأشعاراً لغيرهم . فهو إذن مرجع في الأنساب والتاريخ والأدب لا نظير له في مصنفات اليمنيين .

(٢٧) الكتاب ٨٣/١ .

تحقيق الكتاب يفتقر إلى مزيد من العناية ، فقد وقع المحقق في أخطاء كثيرة لا موضع لتعدادها هنا ، وكذلك لم يخل الجزء العاشر الذي حققه الأستاذ محيي الدين الخطيب من بعض الأخطاء ، وقد نبه الأستاذ حمد الجاسر إلى طائفة منها في مقالته في مجلة المجمع[٢٨] ، والإنصاف يقتضينا أن نشيد بما بذله المحققان من جهد كبير في التحقيق ، فليس من اليسير تحقيق كتب علماء اليمن لغرابة ما فيها من أسماء أعلام الأشخاص والأماكن وصعوبة التثبت من ضبطها ، بالقياس إلى قبائل شمالي الجزيرة وبلاد الشام . ونرجو أن يسعف الدهر بالعثور على سائر أجزاء الكتاب المفقودة فهو على الجملة موسوعة عظيمة الفائدة عن اليمن وقبائلها وأخبارها ولغاتها وشعرائها .

(٢٨) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٢٥ الجزء الأول سنة ١٩٥٠م ص٦٢ وما بعدها .